

الجارديان: تخلى العالم عن غزة لكن الأطباء فعلوا العكس!



الاثنين 27 نوفمبر 2023 09:22 م

في مقال رأي نشره الموقع الإلكتروني لصحيفة "الجارديان"، أثنت الأستاذة الفلسطينية في قسم العلوم السياسية في جامعة ألبرتا "عادة عقيل" على مجهود أطباء غزة في ظل عدوان استمر لمدة 48 يومًا خلف حوالي 14 ألف شهيد - من بينهم 6 آلاف طفل - وقالت "عادة عقيل": "في فيلم "Any Given Sunday"، يلعب "آل باتشينو" دور مدرب كرة قدم متوتر للغاية وفي مشهد رئيسي، يلقي خطابًا حول كيف أن "الحياة هي لعبة البوصات" وكيف أنه عندما "تضيف كل تلك البوصات فإن ذلك هو الفرق بين الحياة والموت". وتابعت: "بالنسبة لباتشينو، تلك مجرد كلمات، وبالنسبة لشعب غزة - وخاصة الأطباء والممرضين والطاقم الطبي - فإن هذه الكلمات هي حقيقة واقعة خطوة واحدة، قرار واحد، يمكن أن يعني الفرق بين الحياة والموت وبعد 48 يومًا من الحرب، اتفقت إسرائيل وحماس على هدنة لمدة أربعة أيام ولكن نظرًا للدمار الهائل الذي لحق بالبنية التحتية المدنية، وخاصة المستشفيات، فإن هذه "الراحة" لن تكون شيئًا من هذا القبيل بالنسبة لشعب غزة".

على سبيل المثال، حالة الدكتور "يوسف مهدي"، طبيب في مستشفى المهدي للولادة في شمال غزة في 12 نوفمبر، بين الساعات الطويلة والمجهد التي قضاها في مستشفى الولادة الخاص هذا، قرر أن يأخذ قسطًا من الراحة وخرج ليدخن سيجارة وفجأة، أصيب المستشفى بصاروخ وأصيب الدكتور "مهدي" لكنه نجا! وكان داخل المستشفى شقيقاه الطبيبان "باسل" و"رائد"، مع عائلتهما والعديد من المرضى وأيضًا كان هناك العديد من النازحين الذين لجأوا إلى المستشفى!

بحث الدكتور "مهدي" عن ناجين من عائلته ولكن يمكن من الممكن التعرف على جميع الجثث الموجودة تحت الأنقاض وكان العشرات من أفراد الأسرة والمرضى والموظفين يرقدون تحت الأنقاض!

وقالت أخته للجارديان، إنه لم يجد أحدًا على قيد الحياة، فجلس على الأنقاض في حالة صدمة كاملة وانتظر الفجر! الدكتور "باسل مهدي" والدكتور "رائد مهدي" وزوجته "إيمان"، مع أطفالهم السبعة البالغين والصغار: طبيبة الأسنان والعروس "سميرة" و"يوسف"، الذي أنهى لتوه درجة الماجستير، و"أحمد" طالب في كلية الطب و"عامر" و"عبد الرحمن" و"محمد" و"ميرا"، وجميعهم طلاب مدارس!

في ذلك الصباح، انطلق الدكتور "مهدي" في رحلة مع مجموعة فارة باتجاه الجنوب عبروا المسارات بدبابة! لم يكن لديه سوى معطف الطبيب الأبيض، فخلعه ووضعه على عصا، ولوح به ومشى والدموع تنهمر على وجهه! وأخير شقيقته أن الجنود الإسرائيليين أطلقوا النار على المجموعة وأصيب بعضهم، لكنهم تركوا دون مساعدة في حالة من الفوضى! بالنسبة للدكتور "مهدي"، شعر بالذنب بسبب تدريبه الطبي واستغرق الأمر خمس ساعات من المشي والجري حتى وصل إلى الجنوب ولم يُسمع أي أخبار عنه منذ ذلك الحين!

وفي منشوره الأخير على فيسبوك، نقل "باسل"، شقيق الدكتور "مهدي"، رسالة مؤثرة: "لن يموت أحد في وقت مبكر! لكن البعض سيموتون وهم يفتقرون إلى الكرامة، ويفتقرون إلى الإنسانية، ويفتقرون إلى المبادئ! عار عليكم".

هناك طبقة إضافية من الصدمة للمجتمع الطبي الفلسطيني لأن هدف حياتهم هو شفاء المرضى ولكن كما هو الحال مع جميع المستشفيات في غزة، توافد المدنيون على مستشفى "المهدي" بحثًا عن ملجأ!

كان المستشفى عبارة عن هيكل وتحول إلى مبنى مهجور، مجردًا من الأدوية والكهرباء والماء والأكسجين! وأضافت "عادة": "لأنني غير قادرة على فهم عجز العالم، فإنني أركز اهتمامي على تخيل الجرحى يموتون في المستشفى بسبب نقص الدواء أو أولئك الذين يتركون ينزفون وغير قادرين على الوصول إلى المستشفى حتى يموتون وحتى أولئك الذين يصلون إلى المستشفيات ويجدون أنه لا حظ لهم في كثير من الأحيان، المعدات الوحيدة التي تعمل بها المستشفيات هي أجهزة تنظيم ضربات القلب".

ونقلت "عادة" رسالة أخرى من غزة: في 17 نوفمبر، أثناء إخلاء مستشفى الشفاء، أكبر مستشفى في غزة، شارك الدكتور "أحمد أبو ندى" شهادته على فيسبوك قائلاً: "كان يُسمى ذات يوم مستشفى، وهو اليوم يقف كمجرد مبنى شهد على آلاف قصص الألم والمآسي داخل جدرانها! مستشفى يتحول إلى مبنى خالي من الكهرباء والماء والأكسجين! ويصبح مكانًا تخشى سيارات الإسعاف الوصول إليه". ويضيف: "مرضاى، في هذا المستشفى الذي تحول إلى مجرد مبنى، أنا، جراح الأوعية الدموية، آسف للغاية لعدم تمكني من علاجكم! لم أعد أستطيع رؤية أنفاسك تتوقف أمام عيني! أنا لست جيدًا في تكفين أجسادكم التي لا حياة فيها! سأغادر مستشفى الشفاء وأشيد

بجهود السفارة الألمانية في تسهيل خروجنا كانت هذه فرصتنا الأخيرة للمغادرة المنسقة إن قلبي مثقل بالحزن والألم، وأنا أشكو إلى الله ضعفي وعجزتي".

ليس غريباً أنه بينما يتمزق الأطباء، يجد البعض أنفسهم بلا خيار سوى المغادرة لكن حتى عملية الإخلاء من بعض مستشفيات غزة خطيرة للغاية

في 18 نوفمبر، تم إجلاء الدكتور "يوسف بركات" قسراً من مستشفى الشفاء مع بعض أفراد الفريق الطبي واتجه جنوباً ثم اختفى وتلقت "غادة" مؤخراً رسالة من أحد المحظوظين وكانت من الدكتور الفلسطيني البريطاني "غسان أبو ستة"، الذي خدم في مستشفيات غزة لمدة 42 يوماً ويعمل دون توقف في ظروف مستحيلة والذي شهد المجزرة في المستشفى الأهلي المعمداني وخرج من غزة عبر معبر رفح، وكتب: "لقد غادرت غزة أمس قلبي وروحي لا يزالان هناك مع مرضاي أتذكر أسمائهم وجراحهم سأقاتل حتى يتلقوا العلاج الذي يحتاجونه والعدالة التي يستحقونها قلبي مكسور بشكل لم أكن أعلم أنه ممكن".

أحد المبادئ الأساسية للقانون الدولي هو وجوب حماية البنية التحتية المدنية وهذا هو الحال خاصة مع المستشفيات وكما قالت منظمة الصحة العالمية: "لا يمكن للعالم أن يبقى صامئاً بينما تتحول هذه المستشفيات، التي ينبغي أن تكون ملاذاً آمناً، إلى مشاهد الموت والدمار واليأس".

ولكن من المؤسف أن العالم يقف ساكناً وصامتاً لقد تفككت بنية حقوق الإنسان في فترة ما بعد الحرب أمام أعيننا بينما تتسامح أقوى

دول العالم مع إفلات إسرائيل من العقاب ومع أولئك الذين يتكلمون علناً، نرى الاضطهاد عندما يدافعون عن حقوق الإنسان وكرامته أربعة أيام من الهدنة لا تمحو سبعة أسابيع من إراقة الدماء تنكسر قلوب الملايين كل يوم داخل غزة وخارجها

وختمت "غادة": "الأطباء الفلسطينيون هم أبطالنا، رموز القوة والالتزان والأمل وفي الوقت الذي تخرى فيه العالم عن غزة والفلسطينيين، فقد فعلوا العكس إن أطباء غزة، بكلماتهم ومن خلال أفعالهم، يعلموننا ألا ننسى أبداً، والأهم من ذلك، ألا نستسلم أبداً".

<https://www.theguardian.com/commentisfree/2023/nov/25/world-abandoned-gaza-doctors-heroes-palestinian-hospitals>